عمر بن عبد العزيز يصلى

للآنسة سهير القلماوى

وليس هو عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى المشهور بعدله وتقواه ، وانما هو طفل مصرى فى الثانية من عمره ، لا يقل عن الخليفة شهرة ولا منزلة فى نفوس عارفيه . ولئن كان عمر الخليفة حقق للعرب المثل الاعلى للخلافة ، فان عمر الطفل حقق لعارفيه المثل الاعلى للطفولة . فليست طفولته خفة وجمالا ومرحا وطهرا ، وانما هى الى جانب هذا كله يشوبها القليل من الجد والتفكير ، وغير القليل من التقوى والدين .

ولعل أهم ما يربط عمر الطفل بعمر الخليفة ، غير الاسم ، مظهر التقوى والدين . ومظهر الدين غريب عنـــد أطفالنا المصريين اليوم ، فقلما نجد طفلا يعرف من أمر دينه ما يجب أن يعرفه أو يؤمن به . أضف الى هذا أن سن عمر لا تسمح له بالكلام الواضح ولا بالفهم والافهام ، ولكنها ، وهنا موضع الدهشة ، سمحت له بفهم لروح الدين وتقديرها عجيبين . ولعلك تدهش كل الدهش اذ ترى عمر يسحب أى غطاء فيفرشه على الارض ، ويجلس القرفصاء لينزع ما يسميه « البيبس » أو ما نسميه نحن « الشبشب » ثم يرفع يديه الى اذنيه ويتمتم بكلمات لا نفهمها مهما حاولت ، ولكنه يتمتمها فى حرارة وحمية غريبتين ، ويوالى بعدها حركات الصلاة المعروفة من سجود وركوع . والغريب أنه يقوم بصلاته فى حمية وحماسة ، قلما تجدهما عند أى طفل فى أى حال من حالاته ، وقد تضطره الحمية أحيانا فى السجود الى ضبط رأسه ضبطاً مؤلماً يصيح بعده « بخ » بصوت نغم عال ملؤه الجد والخشوع . و « بخ » هذه عنده هى « الله أكبر » عندنا . يكفى أن تقول له صل يا عمر ، ليسحب أقرب غطاء وينزع فى سرعة حذاءه ، ويبدأ الصلاة كأشد ما يمكن أن يكون حمية وحماسة . هو لا يعرف للصـــلاة وقتا ، وانما يصلى كلما ذكر أو ذكر . ولعلك تظنه بعد كل هذا مازحا أو غير مقدر قدسية العمل الذى يقوم به . كلا . فكفى أن تفلت منك ضحكة مهما يكن معناها ليكون نصيبك « زغزغة » متوعدة ، ثم ليالك بعد فراغه من الصلاة كل ما يمكن أن ينزله بك من عقاب . حاول ما شئت أن تخرجه من صلاته فلن تظفر بشىء ، وإن استعملت معه القوة واضطرت طفولته الضعيفة أن تخضع لها ، فهناك يكون لك الويل والثبور ، هناك الضرب واللكم وشد الشعر ، وكثير جداً العض المؤلم القاسى .

مرض عمر يوما فخفتت أصوات البيت ، وأصبح جوه جواً حزينا كئيبا ، أصبح كل شىء ساهتا صامتا . وانطرح عمر على ذراع جدته فى استسلام هادىء حزين . وعيناه الزرقاوان تدمعان قليلا من فرط الحمى ، وخداه يلتهبان من حرها ، والتف أهل البيت حوله وكلهم واجم حزين ، يحس أن روحه معلقة تنتظر وترتقب ، وتخاف كل الخوف من احتمال يبدده العقل ويقربه الحب والشفقة . وتناول عمر الدواء من يد جدته فى ألم وحزن ، ثم أغمض جفنيه واستسلم لنوم بدأ مضطربا ، ثم ما لبث أن هدأ قليلا قليلا . ونام عمر زهاء الساعة هادئا ، وقام بعدها ، وقد خف عنه الألم ، وأحس أن الداء فارقه تماما . فما كان منه الا أن سحب غطاء متضدة الدواء غير مبال بما سقط أو تكسر ، ثم فرشه وقام يصلى : يركع ويسجد ويصيح « بخ بخ » فى حرارة وحماسة لم ينس عمر أن يشكر الله فى مرضه لأنه أنعم عليه بفترة هدأ فيها ألمه فاستراح .

* * *

هذه صورة لك يا عمر من صور طفولتك ، لست أعرف أيّ يضعها لك الزمان بين صورك الماضية وصورك المستقبلة . ولكن خالتك تشفق على هذه الصورة البريئة الحلوة الطاهرة من النسيان ، فسجلتها لك لتذكرها أيام تحلو لك ذكريات الطفولة . ترى أستقابلها بابتسامة كابتسامة الطفولة فرحة مرحة ؟ أم بابتسامة أخرى ستعلمها لك الأيام ؟

مدارس المراسلات المصرية

بكالوريا . كفاءة . ابتدائية . لغات

صحافة . تأليف الروايات . رسم

المناهج على أحدث نظم وزارة المعارف المصرية والجامعات الاوربية والامريكية . رسوم فى غاية المهاودة ونتائج باهرة . كل تلميذ فى منزله فصل بذاته ومدرسته لتحل محلها له وحده . أطلب كتاب (طريق النجاح) ، و (كيف تكون كاتبا) يرسلا بدون أى مقابل ، فقط ١٠ مليمات طوابع بوسته تكاليف البريد . قسيمة مجاوبة فى الخارج . أكتب باسم :

محمد فائق الجوهرى

مدير مدارس المراسلات المصرية ١١ شارع سنجر السروجى بالقاهرة تليفون رقم — ٥٠٣٥٩